فمها اللآلئ ، حتى أصبح لكل بنت طيبة فى المملكة عقد من اللؤلؤ الثمين . أما الأم العجوز وابنتها الدميمة فقد عاشا وحيدين ، وابتعد عنهما الناس اشمئزازاً من الضفادع .

والآن يا بناتى ويا أبنائى الصغار ، إذا لم يسعدكم الحظ وتقابلوا ملكة الجن ، وتسمع كلماتكم الحلوة المؤدبة ، فتهبكم اللآلئ تتساقط من أفواهكم العذبة ، فإنى أدلكم على طريقة تجعل اللآلئ تخرج منها : تكلموا دائما بأدب ، واشفقوا على الغير ، ولا تنطقوا بفاحش القول . فالكلمات الطيبة الرقيقة أحسن من اللآلئ ، فقد تضيع اللآلئ ، أما الكلمات الحلوة فتبقى ، ويبقى أثرها الطيب . والكلمات القبيحة الفاحشة أسوأ من الضفادع ، لأن الضفادع لا تضر أحدا ، أما الكلمات القاسية القبيحة ، فتسىء وتؤذى على الدوام .

رحـــلات أنور

(٦)

مع « الوعل » فى لابلاند

سأل أنور : « أين نحن » ؟

فقال الوعل : « نحن فى لابلاند . والأرض ، كما ترى ، مغطاة بالجليد ، لأننا فى فصل الشتاء الآن . وأنا آكل الجليد فى الشتاء إذ الأنهار تجمد ، فلا أجد ماء للشرب » .

وكأن الوعل قد أراد أن يشرح لأنور معنى ذلك ، فلأ فمه بالجليد وصاح قائلا : « كم هو لذيذ عندى أن أمنع حوافرى فى شىء بارد لطيف !! »

فقال أنور : « لا أظن أنكم تشعرون بحرارة هنا !! » — وكان الجليد يغطى كل مكان . على أنه استطاع أن يرى على مسافة ، ليست بعيدة منه ، غابة ، بدت قاتمة بجانب الأرض الناصعة البياض .

فأجاب الوعل : « أنت مخطىء فى اعتقادك هذا ، لانه فى فصل الصيف ، عند ما تظهر الشمس طول النهار ومعظم الليل تقريبا ، يكون الجو حارا جدا . فلا تجد مكانا نستطيع أن نأوى إليه إلا الجبال ، حيث الجليد كثير والطحلب موفور . والآن يجب أن نسير ، فهناك بالقرب من الأشجار ، أرى مركبا جليديا (Puika) وسأريك كيف نعده للاستعمال » .

ولم يكن أنور قد رأى هذا النوع من المراكب

الجليدية (Pulka) بيْدَ أنَّهُ هَرْوَلَ بجانبِ الوَعِلِ . وكانَتْ حوافِرُ الوَعِلِ العريضة المُفَرْطَحَةُ تُساعِدُه على السَّيْرِ بثباتٍ فوقَ الجَليدِ، أمَّا أنورُ فكانَ، بقَدَمَيهِ الصَّغيرَتَيْنِ، داخِلَ حِذائِهِ الصغيرِ، يَتعثَّرُ فى سَيْرِه، ويقَعُ كثيراً .

المركب الثلجى (Pulka)

ولَمَّا رَأى أنورُ ذلك المَرْكَبَ الجليدىَّ، صَفَّقَ بيدَيْهِ لِشِدَّةِ فَرَحِهِ . وكانَ المركبُ يُشْبِهُ الزَّوْرَقَ فى شكلِهِ، ولَوْنُهُ بُنِّيٌّ . ومفروشٌ من الداخلِ بِفَرْوٍ ذِى شعرٍ كثيفٍ .

وعندما بَدَأَ المَرْكَبُ السَّيْرَ صاحَ أنورُ: « وافَرْحَتاهُ !! » وانْطَلَقَ الوَعِلُ يَجُرُّهُ بسرعةٍ عظيمةٍ، وذلك لقُوَّةِ عَضَلِ رقبتِهِ، وكَتِفَيْهِ . وكانَ أنورُ يَصيحُ لِلْوَعْلِ : « أَسْرِعْ ! أَسْرِعْ أكثرَ مِنْ ذلك ! » ، فَيَنْطَلِقُ الوَعْلُ بسرعةٍ عظيمةٍ، حتَّى لقد كانَتْ جذوعُ الأشجارِ القائمةِ، تَمُرُّ بسرعةِ البرقِ بجانبَيْهِما . وفى أثناءِ ذلك كانَ أنورُ يَسْمَعُ وقْعَ حوافِرِ الوَعْلِ على الجليدِ « كِلِكْ ! كِلِكْ ! كِلِكْ ! ! »

وأخيراً صادَفا قَطيعاً من الوعولِ . ولَمَّا رَأَتِ الوعُولُ المَرْكَبَ الجَليدِىَّ، أَسْرَعَتْ نَحْوَهُ، وأخَذَتْ تُحَلِّقُ فى أنورَ بعيونِها الكَبيرةِ المُسْتَديرَةِ . وَقَدْ رَبَتَ أنور واحداً منها — على أنْفِهِ الأسمرِ، وصَدْرِهِ الأبيضِ . أمَّا وَعْلُهُ هو، فقد تَحادَثَ مع بعضِ إخوانِهِ . وفى أثناءِ ذلك كانَ يَكْشِفُ الجليدَ عن الأرضِ بحافِرَيْهِ الأماميَّيْنِ القَوِيَّيْنِ، عَسَاهُ يَجِدُ بعضاً من الطُّحْلُبِ لِيَأْكُلَهُ .

وكانَ عَلَى مسافةٍ قريبةٍ منهم رجُلٌ جالسٌ فوق الجليدِ يَرْقُبُ القَطيعَ . وكانَ مُرْتَدِياً بالفِراءِ مِنْ رأسِه إلى قَدَمَيْهِ، فلم يَكُنْ يَظْهَرُ منهُ إلا وجْهُهُ .

ولَمَّا مَرَّا به، قالَ أنورُ : « ألاَ يُصابُ هذا الرَّجلُ بالبَرْدِ » ؟ قالَ ذلك، لِأنَّهُ تَذَكَّرَ أنَّ والدَتَهُ لَمْ تَكُنْ لِتَسْمَحَ له بالجلوسِ على الجليدِ .

فَأجابَهُ الوَعْلُ : « كيفَ يُصيبُهُ البردُ، وهو يَرْتَدِى بكلِّ هذه الفِراءِ !! إنَّهُ يَنامُ هنا فى العَراءِ أحياناً، لِإنَّهُ اعْتادَ هذا الجَوَّ الباردَ ! عَلَى أنَّنا نعيشُ هنا فى الخِيامِ، وسوفَ تَرَى بنفسِكَ ما يَرْتَدِى به أهلُ لابْلاند من الملابسِ المريحةِ » .

وعِنْدَ مَا انْتَهَى الوَعْلُ من حديثِهِ، كانا قد وَصَلا إلى قَريَةِ لابْلاندية . وكانَ بها كوخانِ مَبْنِيَّانِ بالحَجَرِ، ومُغَطَّيانِ بالطينِ المَزْروجِ بجُذورِ النَّباتِ . وكانَ الدُّخانُ يَتَصاعَدُ من فتحةٍ فى وَسَطِ السَّقْفِ . عَلَى أنَّ مُعْظَمَ البُيوتِ لَمْ تَكُنْ إلاَّ خِياماً، لِأنَّ أهلَ لابْلاند يَنْتَقِلونَ من مكانٍ لآخَرَ طَلَباً للطُّحْلُبِ الَّذِى يَعيشُ عليه الوَعِلُ .

وكانَتْ تلك الخِيامُ مُقامَةً على أعمِدَةٍ رفيعةٍ ناعمةٍ قُطِعَتْ مِنَ الغابةِ . وكانَ بعضُ تلك القَوائِمِ مُغطًّى بِنَسيجٍ واردٍ

اسرة لابلاندية امام كوخها

من بِلادٍ أجْنَبِيَّةٍ ، وبعضُها الآخَرُ مُغطًّى بجلودِ الوُعُولِ .

ولَمْ يَرَيا أحداً مطلقاً ، ولكِنَّ الوعْلَ قالَ إنَّهُ قد حانَ وَقْتُ الفَطُورِ ، وبعدَ قليلٍ يَسْتَيْقِظُ الجميعُ . وفى تلك اللحظةِ خَرَجَ كَلْبٌ من إحْدَى الخِيامِ ، وهو يَنْبَحُ ، كأنَّهُ يَقولُ : « أسْعِدْتُم صباحاً » ، وبعدَ بِضْعِ دقائقَ ، كانَ أنورُ وَسْطَ جمعٍ مِنَ الصِّغارِ والكِبارِ ، يُحْدِثُونَ جَلَبَةً وضَوضاءَ أكثرَ مِمَّا يُحْدِثُ الكلْبُ بِنُباحِهِ .

ولقدْ خُيِّلَ لأنورَ أنَّ هؤلاءِ الأطفالَ أشْبَهُ ما يَكُونونَ بالعفاريتِ الصغيرةِ التى قَرَأَ عنها فى كُتُبِ القِصَصِ . فكانَتْ لهم وجوهٌ عريضةٌ يَعْلوها السُّرُورُ ، بها عيونٌ مُسْتَديرَةٌ يَنْبَعِثُ منها الفَرَحُ . وقد كانَ من الصَّعْبِ عليه — كما كانَ الحالُ فى جَزيرةِ الأرضِ الخَضْراءِ — التَّمْييزُ بَيْنَ الصِّبْيانِ والبَناتِ ، لأنَّهُم جميعاً يَلْبَسونَ ملابسَ واحدةً . وأهلُ لابْلاندَ مُغْرَمونَ بالألْوانِ الزاهِيَةِ . وملابسُ الرِّجالِ ، عادةً ، تَكونُ زَرْقاءَ ، وبعضُها مُخَطَّطٌ عندَ الأكتافِ بخطوطٍ صفراءَ وأُخْرى حمراءَ .

فلمَّا رَأَى أنورُ تلك الملابسَ الزاهيةَ ، قالَ : « لَيْتَ لى مِثْلَ هذه الملابسِ الزاهيةِ ! ! »

فأجابَ الأطفالُ بصوتٍ واحدٍ : « تَعالَ إذَنْ ! ! سَنُعْطيكَ منها ما تُريدُ ! » وذَهَبوا جميعاً إلى إحْدَى الخِيامِ . ولَمْ يَكُنْ بداخلِ الخَيْمَةِ مَوائِدُ ولا كراسىُّ ، بل كانَ عَلَى الأرضِ بعضُ فروعِ شَجَرِ البتولا مغطاةً بمَارِقَ (سجاجيدَ) من جلودِ الوَعِلِ ، ومُلاءاتٍ عليها وسائدُ من الجِلْدِ . وفى جانبِ الخيمةِ وِعاءٌ فيه طَعامٌ يُغْلى عَلَى نارِ الخشبِ ، تَنْبَعِثُ منه رائحةٌ شَهِيَّةٌ . وبَيْنَما كانَ أنور يُفَكِّرُ فى تلك الرائحةِ الشَّهِيَّةِ ، أحْضَرَتْ لَهُ الأُمُّ وِعاءً (سلطانية) مَمْلوءاً بِلَبَنِ الوَعِلِ ، وبعضاً من الخُبْزِ ، من مَخْزَنٍ صغيرٍ ، خارجَ الخَيْمَةِ ، مصنوعٍ من الخشبِ ، ومُقامٍ على أعمدةٍ من شجرِ البتولا .

وكانَ على ظهرِ الأمِّ ، مَهْدٌ صغيرٌ من الجلدِ ، ذُو لَوْنٍ بُنِّىٍّ ، وفَوقَهُ غِطاءٌ . وكانَ بالمَهْدِ طِفْلٌ سمينٌ ملفوفٌ بجلدٍ ناعمٍ أبيضِ اللَّوْنِ ، وفوقَ رأسِهِ جَرَسٌ صغيرٌ ، وكانَ كُلَّما تَحَرَّكَتِ الأمُّ جَلْجَلَ الجَرَسُ ، فَيَصيحُ الطفلُ طَرَباً مَسْرُوراً !

وسَأَلَ أنورُ الأمَّ قائلا : « وما الذى فى هذا الوِعاءِ » ؟